استثقال توالي الأصوات المتقاربة في أبنية ألفاظ العربية

علي أحمد النبوت – جامعة مصراتة – ليبيا
dean@lt.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:
مدار هذا البحث، أوجه استثقال توالي الأصوات المتقاربة في أبنية ألفاظ العربية، والسبل التي يسلكها اجتنابا لذلك كلما مست الحاجة وعدت أسباب المنطق على مبدئ التيسير والخفة طلبا للفظ الفصيح الجزل المستحسن. وعليه يبنو منطق العرب الفصيح عن هذا النوع من التوالي، وما قد يسببه من سماجة وثقل فيختار بدائل أخرى حيث لا مساس ولا التباس. وعليه عُقد سنام البحث على كيفية حياكة منطق العرب للألفاظ من اجتناب واستحباب، فيعرض عن حالات مستثقلة إلى حالات أخرى أخف وأيسر بديلات، فكما تشرئب الحياة إلى التباعد التنوع والاختلاف، فلا غرو أن يكون ذلك دأبَ منطقِها؛ صنوِها وصوتها وصورتها على التمام.

مقدمة:
منطق لسان العرب منطق محكم يسير ومنطق الحياة في التآلف والانسجام، فما تألفه الحياة، يألف المنطق، وما تأباه وتنأى عنه، ينأى عنه ويأباه أيضا. وليس أدلّ على ذلك من منطق اللغة التي تجسد صور الحياة تعبيرًا وتصويرًا، فبقدر ما يُكتشف من الحياة، يُكتشف من الكلمة، لذا فالبحث في شأن من شؤون الكلمة، هو بحثٌ في شأن من شؤون الحياة. وبحثنا هذا إنما هو في كيفية حياكة منطق العرب للألفاظ من اجتناب واستحباب؛ فيعرض عن حالات مستثقلة إلى حالات أخرى أخف وأيسر بديلات، ومن هذه الحالات المستثقلة وهي مدار البحث حالة توالي المتقارب من الأصوات، فكما تشرئب الحياة التامة إلى التباعد التنوع والاختلاف، فلا غرو أن يكون ذلك أيضا في اللغة التامة التي هي صنو الحياة.
والأصوات عندنا ثلاثة أنواع: أصوات عليلة خالص الاعتلال وهي (الواو والياء) وأصوات هي بين الصحة والاعتلال، وهي (النون والهمز والهاء) فهذه الأصوات وإن عُدت صحيحة غير أنّ بها نصيبا ملحوظا من الاعتلال. أمّا غير ذلك من الأصوات فهي أصوات صحيحة خالصة الصحة، ليس فيها شيء من الاعتلال. والعربية في

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

صناعة ألفاظها كما تنأى عن تجاور الصوت لنفسه، تنأى كذلك عن تجاور المتقارب من الأصوات، ولا يعدم المنطق الفصيح حالات أخف وأيسر بديلات.

البحث:

الأصوات المتقاربة هي تلك الأصوات التي تقاربت مخارجها بعضها من بعض، وذلك مدعاة إلى استثقال اللفظ، إذ العرب في منطقهم لا يؤلّفون بين الأصوات متقارب المخرج. وقد دلّل ابن دريد على ذلك بقوله: "وممّا يدلك أنهم لا يؤلّفون الحروف المتقاربة المخارج أنه ربّما لزمهم ذلك من كلمتين أو من حرف زَائِد فيحولون أحد الحرفين حَتّى يصيروا الأقوى منهما مُبتدأ على الكره منهم، وربّما فعلوا ذلك في البناء الأصلي"[1]. ومردّ ذلك أنّ منطق اللغة يستحسن التباعد في التألّف كما يستحسنه منطق الحياة، فالمنطق يستحسن الانتقال من حيز صوتي إلى آخر، وينفر من الحركة داخل الحيز الواحد. ومجمل الأصوات المتقاربة في تآلفها ثلاثة أنواع:

- نوع لا سبيل إلى تآلفه البتة؛ فلا يسبق صوت منهما آخر مطلقا، كـ(اللام والراء) و(الحاء والهاء والعين) لعلة التقارب بالاشتراك في الحيز الصوتي الواحد.
- ونوع ثانٍ يقبل التألّف بشرط أن يتقدم فيه الأقوى على الأضعف، والأكثر قربا إلى الخارج على الأقرب إلى الداخل؛ فأمّا تقديم الأقوى على الأضعف فمن صوره صوتا أقصى الحلق "الهمزة والهاء" فالهاء لا تسبق الهمزة في صناعة اللفظ؛ لأنّ الهمزة أثقل والمنطق ينفر من الانتقال إلى الأثقل، وسيأتي بيانه ومثاله.

وأمّا تقديم الأقرب إلى الخارج على الأقرب إلى الداخل، فمن صوره (الدال) و(التاء) إذ رفض المنطق (الدال) قبل (التاء) فهما من حيز واحد؛ وسيأتي بيانه ومثاله أيضا.

- ونوع ثالث لا ترفضه اللغة؛ غير أنّ المنطق قد ينأى عنه على السعة والاختيار.

أولاً النوع الأول: ما لا يقبل التآلف

ما لا يقبل التآلف هي تلك الأصوات التي تصدر من حيّزٍ صوتي واحد؛ حتّى إنّ بعضها يقع بديلا عن الآخر، ومخارج هذا النوع هي: أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه، ورأس اللسان، وطرفه. فأمّا أصوات أقصى الحلق فهي (الهمز والهاء) وأمّا أصوات وسط الحلق، فهما (العين والحاء) وأمّا ما خرج من أدناه فهما (الغين والخاء) وأمّا ما خرج من رأس اللسان فهي (الصاد والسين والزاي) وأمّا ما خرج من مقدمة اللسان بين الأسنان فهي (الظاء والذال والثاء) وأمّا ما خرج من طرف اللسان فهي (اللام والراء والنون).

[1] ابن دريد، جمهرة اللغة. 1 / 50.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

فكل هذا الأصوات لا سبيل في منطق العرب الفصيح إلى تواليها إلا أن يكون أصلٌ مرفوضٌ أو لفظٌ مُهمل، ولا جرم هي أصوات ثقيلة بطبيعتها؛ فالحلق موضع مستثقل، ولا غرو في ذلك حتّى أن كثيرا من لغات الشعوب يخلو منطقها من أصواته أو بعضها، فمنها ما يخلو من (العين) ومنها ما يخلو من (الغين) ومنها ما يخلو من (القاف) ومنها ما يخلو من (الحاء) ومنها ما يخلو من (الخاء) ومنها ما يخلو منها جميعا. وسبب ذلك استثقال الحلق موضعا، وفي استخراج الصوت منه جَهْدٌ وكُلفة.

وإذا كانت أصوات الحلق مستثقلة بطبيعتها، فأولى لها ثم أولى أن تستثقل متجاورة، وفيه كتب ابن جني: "حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف"[2]. وإذا كان الأمر كذلك (وهو كذلك) فلا أحرى من أن تزيد حدة هذا الاستثقال كلّما زادت أسبابه، فإذا كانت منطقٌ لغة ما يخلو أصلا من بعض أصوات الحلق، فلا غرو أن يستثقل المنطق الذي يحويها تواليها أيُّا منها لأنّ في ذلك زيادة في الاستثقال وزيادة في الجهد. فأمّا صوتا أقصى الحلق فلا تتقدم (الهاء) على (الهمزة) لأنّ المنطق ملتزم بتقديم الأقوى على الأضعف، اتباعا لنهجه في التدرج والهمزة أقوى من الهاء، وسياتي فيه توضيح بالمثال وبيان. وأمّا أصوات وسط الحلق فإنّ (العين) أثقل من (الحاء) بل هو من الثقل حتى إن بعضهم سكّنه في غير موضع التسكين طلبا للخفة ومنه قول بعض العرب في "معَكم" "معْكم" بالتسكين[3] أنشد الفرّاء[4]:

ومَنْ يتَّقْ فإنّ الله معْهُ ورزق الله مؤتابٌ وغادِ

ولذلك كان "التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين"[5] "والمهموس أخف من المجهور"[6]. ومن دلائل التقارب بين (العين والحاء) إبدال الحاء عينا في لغة هُذيل[7] وقد قرأ ابن مسعود: (عتّى حين) في قوله تعالى: (حتّى حين)[8] بإبدال الحاء عينا.

ومما يستثقل مع أصوات الحلق صوت الهاء، وقد عدّها صاحب كتاب العين من جملتها كتب: "أقصي الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحَّة في الحاء لأشْبهت العين لقُرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتَّة في الهاء، لأشبهت

[2] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[3] ابن فارس. الصاحبي: 28.
[4] نفسه: 28.
[5] سيبويه. 4 / 450.
[6] نفسه.
[7] الزمخشري، الكشاف. 468/2، الحلبي، الدر المصون. 6 / 495. وعن الزمخشري أن "عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقرأ «عتى حين» فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود. فكتب إليه: إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل". (الكشاف.468/2).
[8] الكشاف.468/2.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيِّز واحد بعضها أرفع من بعض"[9] وعندنا أنّ (الهاء) ليست حلقيا إنّما هو هوائيٌّ غير أنّ مجراه ملاصق للحلق ولا غرو أن يستثقل مع أصوات الحلق لعلة التجاور، وعليه يعرض المنطق عن موالاة الهاء للعين فيجنح إلى الحاء بديلا، وعليه قول سيبويه: "لأنّ الحاء قد يفرّون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين"[10]. و"مما قالت العرب تصديقاً لهذا في الإدغام قول بني تميم: محّم، يريدون: معهم، ومحاولاء، يريدون: مع هؤلاء. وكذلك (الحاء والهاء) لا يتجاوران في منطق العرب للعلة نفسها "لأنهما مهموسان رخوان فقد اجتمع فيهما قرب المخرجين والهمس[11] "وعليه "أهملت الحاء والهاء"[12]. ومِمّا نعدّه من شواهده القربى بينهما تعاور الدلالة بينهما في قولهم: "حلّ وهلّ". وأمّا أصوات أدنى الحلق (الخاء والغين) فإنّ منطق العربية الفصيح يستثقل تواليهما إذ هما "في حيِّز واحد كلَّهُنَّ حلقية"[13]. ومن شواهد استثقال تجاورهما ما تمثل به سيبويه في نحو: "اسلخ غنعك: اسلغنمك"[14] فإنّك تلحظ كيف استثقل المنطق (الخاء) قبل (الغين) فطرحه، وعوّض عنه بشديد (الغين). وبما أنّ أصوات وسط الحلق أشدّ ثقلا من أصوات أدناه، فلا غرو أن يستثقلا بالتجاور، وعليه أهمل "غخ"[15] وكذلك "عخ و خع"[16] وكذلك "حغ وحخ" كلّها أهملت؛ نفورا من مجاورة المتقاربات. وكذلك (الحاء والخاء) يستثقل تجاورهما لعلّة تقارب الحيزين ومن ثم أعرض المنطق عن تآلفهما، وعليه "أهملت الحاء والخاء في الوجوه كلها"[17]. وكذلك (الهاء والخاء) لا يأتلفان فقد "أهملت الخاء مع الهاء في الوجوه كلها"[18] وفي "المحكم" أن "هِخْ: حِكَايَة المتنخم"[19] وتأمّل كيف هو مستثقل، في لفظه ومعناه.

ومما لا يتجاوران صوتا أقصى اللسان (القاف والكاف) أو اللهويان كما سماهما صاحب العين لأنّ" مبدأهُما من اللهاة"[20] لما ف تجاورهما من سماجة

---

[9] العين. 1 / 57.
[10] سيبويه، 4 / 451.
[11] نفسه. 4 / 449.
[12] ابن دريد، جمهرة اللغة. (باب ح ي ي). 1 / 103.
[13] العين. 1 / 58.
[14] سيبويه، 4 / 451.
[15] ابن دريد، جمهرة اللغة.1 / 155 و 215 و 364 و 401 و 426. و 481.
[16] ابن دريد، جمهرة اللغة.1 / 107، و110 ، و113 ، و612. والزبيدي، تاج العروس. 20 / 612.
[17] ابن دريد، جمهرة اللغة.1 / 95.
[18] نفسه. 1 / 109.
[19] ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم.4 / 82.
[20] العين. 1 / 58.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

واستثقال، فلا تجد من التألّف "كق وقك" ونحو ذاك وكذلك (الجيم والشين) فهما أصوات شجرية "لأن مَبْدَأها من شجْر الفم؛ أي مَفرج الفَ"[21]. وقد حشر معها صاحب العين (الضاد) كتب: "الجيم والشّين والضاد شجْريّة لأن مبدأها من شجْر الفم؛ أي مفرج الفم"[22]. وإن كان المنطق لا يأبى توالي (الجيم والشين) بالمطلق؛ غير أن تجاورهما مستثقل "لأنّهما من مخرج واحد وهما من حروف وسط اللسان"[23]. ومن شواهد تقاربهما "قولهم في الأجدر: أشدر"[24] فوقع (الشين) بديلا عن (الجيم) صنوه في المخرج على التجاور والتعاور، ومع ذلك فقد جاء عن الأزهري أنّ "جش، شج: مستعملان"[25] فأمّا "شج" فمنه الشَّجا: وهو مَا اعْترض في الحلق، يقال: شَجِيَ يشجَى شَجىً شَدِيدا فَهُوَ شَجٍ"[26] منه الشَّجُّ: وهو الشدخ والشق التقطيع والخلط. وغيره[27] والجش الطحن، ومنه الجشيشة، وهو المطحون المطبوخ من الأكل، ومنه ما رواه الأزهري عن رؤبة[28]:

لا يُتَّقى بالذَّرَقِ المَجْرُوشِ مُرُّ الزُّوَانِ مَطحَنُ الجَشيشِ

ومنه أيضا الأجش: الغليظ الخشن كقولهم: "فرسٌ أَجَشّ الصّوت"[29] وغيره من الشواهد. ومردّ ذلك عندنا أنّهما وإن كانا من حيز صوتي واحد إلا أنهما يختلفان، فطبيعتهما ليست واحدة، وهما في انحدار منعكس "لأنّ الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحوًا من منزلة الفاء مع الباء"[30] فانحداره إلى الخارج؛ أمّا (الجيم) فانحداره إلى الجوف. وعلى كلٍّ فإنّ تألف (الشين والجيم) وإن كان واقعا في منطق العرب، غير أنّه قد يستثقل لعلة التقارب؛ ولا غرو فإن فيه مع امكانه ثقلة وكلفة لاتفاقهما في الطبيعة والحيز. عليه كان المنطق في موالاة (الجيم) لـ (الشين) بالخيار بين حذف الأول والتعويض أو ترك الحالة على أصلها؛ وقد تمثل سيبويه بذلك فكتب: "ابعج شيثاً، الإدغام والبيان حسنان"[31].

---

[21] نفسه.
[22] العين. 1 / 58.
[23] سيبويه. 4 / 452.
[24] نفسه. 4 / 479.
[25] الهروي، تهذيب اللغة. 10 / 239.
[26] ابن دريد، جمهرة اللغة. 2 / 1041.
[27] الهروي، تهذيب اللغة. 10 / 239.
[28] نفسه.
[29] نفسه
[30] سيبويه. 4 / 448.
[31] نفسه. 4 / 452.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

أمّا في الحالة الأخرى وهي أن تسبق (الشين الجيم) فقد امتنع المنطق عن الحذف والتزم الأصل الأول، وقد نصّ سيبويه على ذلك فكتب: "والشين لا تدغم في الجيم"[32] وعلل له بقوله :"لأنّ الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحوًا من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي، فكرهوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء، فيما ذكرت لك، وذلك قولك: افرش جبلة، وقد تدغم الجيم فيها كما أدغمت ما ذكرت لك في الراء، وذلك: أخر شبثاً"[33].

وعندنا أنّ (الجيم) يكاد يكون حيزٌ لوحده، لا يشاركه في حيزه صوتٌ غيره، وهو صوت مُثقّل وعليه يستثقل مع كلّ صوت يجاوره (القاف والكاف والعين والغين والحاء والهاء) كما يستثقل أيضا مع السين والضاد والذال). وعن ابن فارس أنه "ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه فِي كلام العرب بَتَّةً، وذلك كجيم تؤلَّف مع كاف أو كاف تقدَّم على جيم، وكعين مع غين، أَوْ حاء مع هاء أو غين، فهذا وما أشبهه لا يأتلف"[34]. وعن الجاحظ أن "الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير"[35] وقد وصفه ابن جني بأنه "متروك للاستثقال"[36] وبأنه "رفض استعماله لتقارب حروفه"[37]. وللجيم ـ خاصّة ـ علاقة تجاور وشبه مع (الياء) مع أنه صحيح، و(الياء) عليل، وتلك سمة خاصة به دون غير من الأصوات، فهو شبيه (الياء) في النطق، قريب له في المخرج، إذ كلاهما يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وقد نصّ على ذلك سيبويه فكتب: "الجيم قريبة من الياء"[38] وقال به المبرد فكتب "أَقرب الحروف من الياءِ الجيم"[39] وذهب إليه الفارسي ـ أيضا ـ فكتب: "الياء حرف كالجيم ومقاربة لها"[40].

ومن شواهده قول سيبويه: أنّ "ناسٌ من بني سعدٍ فإنّهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف؛ لأنّها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميميٌّ، وهذا علج، يريدون: عليٌّ، وسمعت بعضهم يقول: عربانج، يريد: عربانيٌّ. وحدثني من سمعهم يقولون:

[32] نفسه. 4 / 448.
[33] نفسه.
[34] ابن فارس، الصاحبي: 87.
[35] الجاحظ، البيان والتبيين. 1 / 69.
[36] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[37] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[38] سيبويه. 4 / 305.
[39] المبرد، المقتضب. 1 / 193.
[40] الفارسي، المسائل العضديات: 43.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

خَالي عويفٌ وأبو علج المطعمان الشحم بالعَشِجِّ
وبالغداةِ فِلَقَ البَرْنِجِّ يريد: بالعشي، والبرني"[41].

وكتب في موضع آخر أنهم "أبدلوا الجيم من الياء المشددة في الوقف نحو علجٍ وعوفجٍ؛ يريدون: عليٌّ وعوفيٌّ"[42]. وقد ورد عن ابن دريد قوله: "أهملت الجِيم والياء في الثنائي"[43] كما أنّ"(ج ي ج ي) أهملت[44]. أمّا وجه الشبه بينهما ففي الطبيعة، فإنك إن ثقّلت (الياء) خرجت (جيما).

وهذا الذي سُمع من منطق العرب سمعته من منطق الأرجنتينيين وهو إسبانيو المنطق، فهم كثيرا ما يبدلون الياء جيما ، ويعدونه من فصاحة اللسان ومن أمثلته "yo" ضمير المتكلم فينطقونه بصوت الجيم المعطّش "go" "جو" بالضم المنفتح بدلا من "يو" ونظيره "ya" وهي بمعنى "قد" التي للتحقيق في العربية، ولهم في ذلك نظير كثير. ومن المتقارب أيضا (التاء و الدال والطاء) وهي نطعية المخرج. كتب صاحب العين: "الطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى"[45] وعليه هي من حيزٍّ واحد. أمّا (التاء والدال) فلا يأتلفان إلا أن يكون التاء علامة نحو: "تدوم" وذلك لا اعتبار له؛ لأنه ليس من أصل البناء، ومنطق بعضهم قد يطرح التاء استثقالا له قبل (الدال) وشاهد ذلك ما أورده سيبويه من منطق تميم "قولهم: ودٌّ، وإنما أصله وَتِدٌّ، وهي الحجازية الجيدة ولكنّ بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فخِذ: فخْذ فأدغموا، ولم يكن هذا مطرداً لما ذكرت لك من الالتباس، حتى تجشموا وطْداً ووتْداً، وكان الأجود عندهم تِدةً وطِدةً، إذ كانوا يتجشمون البيان"[46]. وأورده ابن جني أيضا في سر الصناعة فكتب: "وأمّا المتقاربان فنحو قولك في وتد إذا سكنت التاء لإرادة الإدغام ود"[47]. ومنه أيضا قول سيبويه: "ومما بينوا فيه قولهم: عِتْدانٌ، وقال بعضهم عُتْدانٌ فراراً من هذا. وقد قالوا: عِدّانٌ شبهوه بودٍّ، وقلّما تقع في كلامهم ساكنة، يعني التاء في كلمةٍ قبل الدال، لما فيه من الثقل، فإنّما يفرون بها إلى موضع تتحرك فيه، فهذا شاذٌ مشبّه بما ليس مثله نحو: يهتدي ويقتدي"[48]. وسبب استثقال المنطق لتواليهما "أنّهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس" قاله سيبويه[49].

[41] سيبويه. 4 / 182.
[42] نفسه. 4 / 240..
[43] الأزدي، جمهرة اللغة. 1 / 94.
[44] نفسه. 1 / 185.
[45] العين. 1 / 58.
[46] سيبويه. 4 / 482.
[47] ابن جني، سر صناعة الإعراب: 44.
[48] سيبويه. 4 / 482.
[49] نفسه. 4 / 461.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

ومِمّا هو عليه قولهم: "اداركوا" في "تداركوا" وهو عدهم على الإدغام[50] وعندنا هو على حذف التاء والتعويض بالتضعيف حفاظا على البناء في أصله، وإن اختلف المسلك؛ غير **أن** طلب المنطق واحد؛ وهو اليسر والخفة، وتصديق ذلك قوله عز وجل: (فَادَّارَأْتُمْ فيها) (البقرة: 72) يريد: فتدارأتم". كتب الحلبي: "أصل ادَّارأتم: تَدارَأْتُم تفاعلتم من الدَّرْءِ وهو الدفع، فاجتمعت التاء مع الدال وهي مقاربتُها فأريد الإدغام فقلبت التاء دالا وسُكّنت لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بساكنٍ فاجتُلبت همزة الوصل ليُبتدأ بها فبقي ادَّارأتم، والأصل: "ادْدَارَأْتم" فأدغم، وهذا مطردٌ"[51]. وقد نوافقه في افتراض الأصل الأول "تَدارَأْتُم" غير أنّنا لا نوافقه في التحول، فما حدث عندنا هو استثقال (التاء) قبل جاره (الدال) فحذفه المنطق، وعوض عنه بالتشديد في (الدال) وجلبت علامة الوصل بديلا له.

ونظيره في استثقال (التاء) قبل (الدال) ما أورده ابن فارس في (باب القول في اختلاف لغات العرب) من قول بعضهم "مُهَدُّون" في "مهتدون"[52]. ومن شواهد استثقال (الدال) قبل (التاء) ما تمثل به سيبويه قوله: "انقد تلك، وانعت دلاماً "[53] حيث "يثقل التكلم به لشدتهن، وللزوم اللسان موضعهن لا يتجافى عنه"[54] فتنطقهما:"انقتّلك وانعدّلاماً، وهو عنده على الإدغام[55] وعندنا على الخفاء والشديد.

وكذلك (التاء والطاء) إذ لاستثقالهما وجهان: الشبه وتجاور المخرج، وعليه قد يستثقل تواليهما، وقد جاء في الصِّحاح: "وربّما قالوا اسْطاعَ يَسْطيعُ، يحذفون التاء استثقالاً لها مع الطاء"[56] ومنه قراءة حمزة: ﴿فما اسْطاعُوا أن يظْهرُوه﴾[57]. ومن المتقاربات أصوات الثنايا (التاء والضاد) إذ هو مستثقل أن يوالي أحدهما الآخر؛ إلا أن تكون التاء علامة وليس لذلك اعتبار؛ لأنه عارض ليس من أصل البناء. ومنه شواهد هذه الحالة قولهم: "اضْطَجَعَ اضْطِجاعا، فهو مُضْطجِع" فعن الزبيدي أن الليث قال: "كانت هذه الطّاء تاء في الأصلِ، ولكنَه قَبُح عندهم أَن يقولوا: اضْتَجَعَ، فأبدلوا التَّاء طاءً، وله نظائر مذكورة في محلّها"[58] وقد جاء في التهذيب من أن "ح ض ت: مهمل"[59]. ومنه أيضا تألّف (التاء والذال) فهو مستثقل؛ إذ هما

[50] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه. 2 / 336.
[51] الحلبي، الدر المصون. 1 / 434.
[52] ابن فارس، الصاحبي: 29 .
[53] سيبويه. 4 / 461.
[54] نفسه.
[55] نفسه.
[56] الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية. باب (طوع).
[57] نفسه.
[58] الزبيدي، تاج العروس.21 / 398.
[59] الهروي، تهذيب اللغة. 4 / 117.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

متجاوران. والشأن نفسه مع (التاء والظاء) وعليه ما جاء في الجمهرة من أن "(ت ظ ظ) أهملت"[60] وما جاء في التهذيب من أنّ"ع ت ظ مهمل"[61]. ومن شواهده قولهم :"مظطعنٌ ومظطلم"[62] فالأصل فيهما هو "مظتعن ومظتلم" لأنّه "مفتعل" إذ المزيد هو (التاء) إنّما استثقله المنطق بعد الظاء، فطرحه، وعوض عنه بـ(الطاء) صنوه المفخم تناسبا مع الظاء ليسير المنطق على وتيرة واحد في النسق المفخم.

وتصديق ذلك ما كتبه سيبويه من أنّهما " إذا كانا منفصلين، يعني الظاء وبعدها التاء، جاز البيان، ويترك الإطباق على حاله إن أدغمت، فلما صارا في حرفٍ واحد ازدادا ثقلاً، إذ كانا يستثقلان منفصلين، فألزموها ما ألزموا الصاد والتاء، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالظاء وهي الطاء ليكون العمل من وجه واحد... وكان ذلك أخف عليهم، وليكون الإدغام في حرفٍ مثله إذ لم يجز البيان والإطباق حيث كانا في حرف واحد، فكأنهم كرهوا أن يجحفوا به حيث منع هذا. وذلك قولهم: مظطعنٌ ومظطلم"[63] وأردف: "وإن شئت قلت مطّعنٌ ومطّلمٌ". واستشهد بقول زهير[64]:

هذا الجواد الذي يعطيك نائلهُ عفواً ويُظْلَمُ أحياناً فَيَطَّلِمُ

وإن قال قائل ما بال "اكتظّ" وقد حصلت بينهما موالاة فنقول: إن (التاء) في "اكتظّ" ونحوه ليس من أصل الفعل لأنه "افتعل" ولا اعتبار للعلامات كما أن الزيادة في البناء أوجبت التصرف في اللفظ من حيث الحركات حيث سكن الكاف، وما خرج عن أصله خرج عن حكمه. ومن المتقارب أيضا (التاء والصاد) ومن شواهده قولهم: "مصطبر" إذ القياس والأصل "مصتبر" لأنه "مفتعل" غير أن المنطق استثقل التاء بعد الصاد، فأبدل منه صنوه المفخم "الطاء" لما بينه والصاد من التآلف والانسجام، وفيه كتب سيبويه: "وقالوا في "مفتعلٍ" من صبرت: مصطبرٌ، أرادوا التخفيف حين تقاربا ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك، يعني قرب الحرف، وصارا في حرفٍ واحد، ولم يجز إدخال الصاد فيها لما ذكرنا من المنفصلين، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء؛ ليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد من الحروف، وليكون عملهم من وجهٍ واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام[65] غير أنّ بعضهم يستثقله مطلقا فيعرض عن (الطاء) أيضا فيقول "مُصَّبَرٌ" وعند سيبويه أنّه لما "أراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء،

[60] ابن دريد، جمهرة اللغة. 1 / 78.
[61] الهروي، تهذيب اللغة. 2 / 155.
[62] سيبويه. 4 / 468.
[63] سيبويه. 4 / 468.
[64] نفسه.
[65] نفسه. 4 / 467.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صاداً فقالوا: مصبرٌ"[66]. ونظيره ما حُكي أن بعضهم قرأ: "فلا جناح عليهما أن يصّلحا بينهما صلحا"[67] والأصل "يتصالحا" فاستثقل في منطق القراءة التاء قبل الصاد فحذف وعوض عنه بالتشديد في الصاد[68]. ومن المتقارب في المخرج علاوة على شبه في الجرس (الدال والطاء) فهو مستثقل تواليهما وقد نصّ سيبويه في كتابه أنّ " الدال كالطاء في الجهر"[69] وابن جني ـ أيضا ـ نصّ على "أنّ الطاء ليس حرف أقرب إليها ولا أشبه بها من الدال"[70] وأن مخرج الدال قريب من مخرج من الطاء[71]. وعليه لم أقف في كلامهم على (دال) بعدها (طاء) ولا (طاء) بعدها (دال) إلا أصل مرفوض أو مهمل، وعليه قول سيبويه: أنهم كرهوا وطدوا لما فيه من الاستثقال[72]. وفي (جمهرة اللغة) أن (د ط ط) "أهملت إلا في قولهم: طدّ الشَّيْء في الأَرْض بمعنى الأمر أَي اغمز في الأَرْض وليس هذا موضعه"[73] وعليه جاء في التهذيب أن طد: مهمل[74].

ومن شواهد استثقال (الدال) بعد (الطاء) قولك: "اضبط دلاما" حيث "يثقل التكلم به لشدتهن، وللزوم اللسان موضعهن لا يتجافى عنه"[75] فتنطقها: "اضبدّلاما"[76]. ومن استثقال توالي المتقارب (الدال والظاء) فعن الهروي في التهذيب (بَاب الدَّال والظاء) أنّ الليث بن المظفر أهمل وجوهها[77] وعنه أيضا أن الليث قال: "الدَّظّ هو الشَّلّ بلغة أهل اليمن، يُقَال: دَظَظْناهم في الحرب، ونحن نَدُظُّهمْ دَظّاً"[78] وأردف "قلت: لا أحفَظُ الدّظّ لغير اللّيث"[79].

---

[66] نفسه.
[67] نفسه.
[68] وفي الآية أربع قراءات: "أن يتصالحا" وهي قراءة والأصل، و"أن يُصْلِحَا" وهي قراءة الكوفيون و«أن يُصالِحا» وهي قراءة عبيدة السلماني، و«أن اصَّالحا» وهي قراءة ابن مسعود والأعمش، و«أن يَصَّالحا» بتشديد الصاد بعدها مد، وهي قرأ عثمان البتي والجحدري: وهي شاهد سيبويه. (الحلبي، الدر المصون. 4 / 108).
[69] سيبويه. 4 / 460.
[70] نفسه. 4 / 457.
[71] ابن جني، سر صناعة الإعراب. 1 / 60.
[72] سيبويه. 4 / 474.
[73] ابن دريد، جمهرة اللغة. 1 / 112.
[74] الهروي، تهذيب اللغة. 13 / 199.
[75] سيبويه. 4 / 461.
[76] نفسه.
[77] الهروي، تهذيب اللغة. 14 /105.
[78] نفسه. 14 /43.
[79] نفسه.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

ومن هذه الحالات ـ أيضا ـ تجاور الأصوات اللثوية وهي (الثاء والذال والظاء) وقد نعتهما صاحب كتاب (العين) بـ"اللثوية" كتب: "الظّاء والذّال والثّاء لثويّة، لأنّ مبْدأها من اللّثة"[80]. فأمّا استثقال تجاور(الذال) و(الثاء) فشاهده قول أحدهم:"ابعذلك"[81] يريد: "ابعث ذلك". وأمّا (الذال والظاء) فلم يتجاورا في منطق العرب، وقد نص سيبويه على أنهما" أخوات، وهن حيز واحد"[82] وعند ابن جني أن مخرجهما واحد[83] والصحيح ما قاله سيبويه؛ إذ هما صنوان في الحيز لا في المخرج، وقد جاء في التهذيب أن "ذ ظ" مهمل[84] وأنّ الظاء والذال مهمل[85]. ونظيره (الذال) مع (الظاء) و(الثاء) إذ هو صنوهما الثالث في المخرج وينسحب عليه الحكم نفسه من الاستثقال، وقد عزاه ابن جني أنه "متروك للاستثقال"[86] وأنّه مما "رفض استعماله لتقارب حروفه لنفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه"[87]. ومن المتقارب المستثقل تجاوره (الضاد والطاء) فأمّا (طاء) فـ (ضاد) فهو مستثقل إلى حد الامتناع، وأما (ضاد) فـ(طاء) فقد نبا عنه المنطق. جاء في التهذيب أنّ "ض ط أهمله اللَّيْث"[88]. ومن شواهده ما ورد عن سيبويه: "وإن شئت قلت مضّجعٌ"[89] وأردف: "وقد قال بعضهم: مطّجعٌ"[90] كلّ أولئك فرارا من تجاور المتقارب.

ومن هذا الاستثقال أيضا تألف أصوات طرف اللسان (اللام والراء والنون) وقد وصفها صاحب العين بأنها ذلقية؛ كتب: "الرّاء واللاّم والنّون ذلقيّة، لأنّ مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفَيّ ذلق اللّسان"[91]. وهذه الأصوات تصدر من حيز واحد هو رأس اللسان؛ فلا غرو إذا أن تستثقل متجاورة في البناء؛ ففي ذلك اجترار لصدى الأصوات، وعليه يستثقل منطق العرب تجاورها في حياكة الألفاظ لاسيما إن كانت ساكنة، فـ(اللام) يستثقل ساكنا قبل النون والراء، وكذلك (النون) إن كان ساكنا لم يأتلف قبل (اللام) ولا (الراء) كراهةً لتجاور المتقارب، وفيه كتب سيبويه:

---

[80] العين. 1 / 58.
[81] سيبويه. 4 / 462.
[82] سيبويه. 4 / 462.
[83] ابن جني، سر صناعة الإعراب. 1 / 47.
[84] الهروي، تهذيب اللغة. 13 / 111.
[85] نفسه. 13 / 199.
[86] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[87] نفسه.
[88] الهروي، تهذيب اللغة. 11 /313.
[89] سيبويه. 4 / 470.
[90] نفسه.
[91] العين. 1 / 58.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

"لا نعلم النون وقعت ساكنة في الكلام قبل راء ولا لام، لأنّهم إن بينوا ثقل عليهم لقرب المخرجين كما ثقلت التاء مع الدال في ودٍ وعدانٍ"[92] وأردف بعد قول: "وذلك أنه ليس في الكلام مثل قنرٍ وعنلٍ"[93]. وروى ابن جني عن أبي الحسن قوله: "ولو أردت مثال انفعل من رأيت ولحزت لقلتِ: ارَّأىَ والْحَزَ"[94] وفي ذلك بيان على استثقال (النون) قبل (الراء) وقبل (اللام). وفيما يلي بيان لهذه الأصوات الثلاث؛ مَثنى؛ كلٌّ مع صنويه الآخرين في الحيّز في مثال.

أولاً: (اللام والراء)

نصّ سيبويه على أن (اللام والراء) "هما في الشدة وجرى الصوت سواءٌ، وليس بين مخرجيهما مخرجٌ"[95] وعندنا أنّ لكلّ منهما مخرجا؛ غير أنهما من التقارب بمكان بحيث لا يكاد يدرك ما بينهما من اختلاف في الموقع، وعليه هما من مخرجين مختلفين لكنهما من حيّز واحد. ورؤيتنا في اختلاف المخارج أنّ لكل صوتٍ مخرجًا؛ وإلا نُطق الصوتان اللذان هما من مخرج واحدٍ بصوت واحد. فتأمّل. وعليه فإنّهما صنوان في الحيز، أمّا في المخرج فغير صنوان، فمخرج (اللام) ملاصق لمقدمة الأسنان العليا ومدخل(الراء) يجيء بعده، وعليه هما متجاوران، وقد وصف سيبويه (الراء) بأنها "أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، إذ كانت اللام ليس حرفٌ أشبه بها منها ولا أقرب"[96]. وعليه ليس من كلامهم "لر" ولا "رل" وقد جاء في جمهرة اللغة: "ليس في كلامهم لر"[97] وجاء في التهذيب أنّ "رل: مهمل"[98] وقد مثل ابن دريد لهذه الحالة بقوله تعالى:﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14) كتب: "لا يبينون اللام ويبدلونها رَاء لأنّه ليس في كلامهم لر، إلا أنهم قد قالوا: ورل، وهو دويبة صغيرة أصغر من الضّب، وأرل وهو جبل مَعْرُوف، لما جاءت الهمزة والواو قبل الرّاء"[99] وأردف: "فلمّا كان كذلك أبدلوا اللام فصارت مثل الرّاء. ومثله: ﴿الرّحمن الرّحيم﴾ لا تستبين اللام عند الرّاء"[100].

---

[92] سيبويه. 4 / 456.
[93] نفسه.
[94] ابن جني، الخصائص. 2 / 62.
[95] سيبويه. 4 / 452.
[96] نفسه.
[97] ابن دريد، جمهرة اللغة. 1 / 50.
[98] الأزهري، تهذيب اللغة. 15 / 123.
[99] ابن دريد جمهرة اللغة. 1 / 50.
[100] نفسه.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

ومن شواهد استثقال تجاور الصوتين قولك: "هرّأيت" تريد "هل رأيت" فإنك ترى تجاوز المنطق (اللام) لاستثقالها قبل (الراء) والتعويض عنه بتشديد (الراء). وفيها كتب سيبويه يعلل: "لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، إذ كانت اللام ليس حرفٌ أشبه بها منها ولا أقرب... وإن لم تدغم فقلت: هل رأيت فهي لغةٌ لأهل الحجاز؛ وهي عربية جائزة"[101]. وقد يسأل سائل لما استثقلت اللام دون الراء، وكلاهما من حيز واحد؟. فقد دلّل ابن جني على هذا، فكتب: "يدل على أنّ الراء أقوى من اللام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام، وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما تُشْرَبه من الغُنَّة عند الوقوف عليها ولذلك لا تكاد تعتاص اللام وقد ترى إلى كثرة اللُثغة في الراء في الكلام"[102]. ذلك كان تعليل ان جني في قوة الراء وضعف اللام، وأقول ـ إضافة على ما قاله ـ إنّ اللام صوت تخرجه دفعة واحدة؛ أمّا الراء فإنك تحتاج فيه إلى قلقلة تخفف من قوّته وثقله[103]. وعطفا على ثقل (اللام) رأينا بعض المنطق يذهب يستثقله كذلك حتى مع أصوات أخرى فيستثقله مع (التاء، والثاء، والشين). فمن شواهد استثقاله مع (التاء) قراءةَ[104] ﴿بتّؤثرون الحياة الدنيا﴾ (الأعلى: 16) وقول مزاحمٌ العقيلي[105]:

فدَعْ ذا ولكنْ هَتُّعِينَ مُتَيَّماً على ضَوءِ برقٍ آخِرَ اللّيل ناصب

كتب سيبويه: "يريد: هل تعين"؟[106] ومن شواهده مع (الثاء) قراءة أبي عمرو:[107] ﴿هَثُّوّبَ الكفّار﴾، (المطففين: 36). كتب سيبويه: "يريد هلْ ثوب الكفار"[108] وأحاله على الإدغام. ومن شواهده مع (الشين) قول طريق بن تميم العنبري:[109]

تقول إذا اسْتَهْلَكْتُ مالاً للذةٍ فُكَيْهَةُ هشيءٌ بكَفَيْكَ لائقُ

كتب سيبويه: "يريد: هل شيء"؟[110] لكنه أحاله على الإدغام، وطريقتنا على الخفاء.

---

[101] سيبويه. 4 / 457.
[102] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[103] ومن أسرار (اللام) في الدلالة على القوة أنه يدل عن الملكية، وما هو في حيز ذلك نحو: "لي ولك وله ولنا" ونحو ذلك، والنهي وهو من الملكية؛ نحو "لا" و "لن" فتأمّل.
[104] سيبويه. 4 / 459.
[105] نفسه.
[106] نفسه.
[107] نفسه.
[108] نفسه.
[109] نفسه.
[110] نفسه.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

(اللام والنون)

النون صوت مزدوج الطبيعة يحتاج إليه حين الاحتياج، ويستغنى عنه حين الاستغناء. وقولنا مزدوج الطبيعة أنا رأينا تارة يحمل على الصحة، وتارة أخرى يحمل على الاعتلال، وما نعده من شواهد حمله على الصحة قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا﴾ هو على الصحة؛ أمّا من شواهد حمله على الاعتلال فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (النساء: 40). وعند الزجاج أنّ أكثر الاستعمال جاء في القرآن بالإثبات، وإسقاطه قليل ومرد اسقاطه شبهه بحروف اللين، وأنه ساكنة فحذف استخفافا لكثرة الاستعمال كما قالوا لا أدرِ، ولا أبَلْ[111]. وعندنا أن ثبوته على اعتباره الصحة، وحذفه على اعتبار الاعتلال. ومخرج (النون) مجاور لمخرج (اللام) وعلى ذلك يستثقلان متواليان؛ غير أنّ وقوع النون أولا أشد استثقالا، وقد جاء في التهذيب أن "نل: أَهمله اللَّيْث"[112]. وهو ما ينطبق على ما استخلصه ابن جني من أنه: "متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما"[113]. وقد أحال سيبويه (النون) يأتي قبل (اللام) إلى الإدغام، كتب: "وتدغم في اللام لأنها قريبةٌ منها على طرف اللسان، وذلك قولك: منْ لك"[114] وعندنا هو على التعويض بتشديد اللام بعد تجاوز النون. وعلى كلّ فإن المنطق يستثقل (النون) ساكنا قبل (اللام) فيخفيه طلبا للخفة في حياكة الألفاظ. ولا اعتبار له وهو علامة فإنها ضرورة طارئة كما في "نلْتَ ونِلنا" ونحوه. وعليه يستثقل (النون) قبل (اللام) إلا أن يكون علامة ليس لذلك اعتبار. وإن حدث ووقع فإن المنطق يخفيه ويعوض عنه بتضعيف اللام وذلك قولك: "من لك" وهو عند سيبويه على الإدغام[115] وعندنا على الخفاء والتعويض بالتشديد حفاظا على بنية التركيب. ومما يحمل على استثقال (النون) قبل (اللام) قول أبي العباس المبرد أو هو حميد الأمجي[116].

حُميدُ الذي أمَجٌّ داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلعُ

كتب ابن جني: "يريد حُميدٌ"[117] ومثله[118]:

عمرُو الذي هشم الثّريد لقومه ورجال مكةَ مُسْنِتُونَ عِجاف

كتب ابن جني: "أراد عمرٌو الذي"[119].

---

[111] الزجاج، معاني القرآن. 52/2 - 53.
[112] الهروي، تهذيب اللغة. 15 / 239.
[113] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[114] سيبويه. 4 / 452.
[115] نفسه.
[116] أبو زيد، النوادر: 368 والأنباري، الإنصاف: 644 وابن منظور، لسان العرب مادة (أمج) .
[117] ابن جني، سر صناعة الإعراب. 2 / 189.
[118] نفسه.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

ومن استثقال (النون) وبعدها (اللام) "قولهم في بني العنبر وبني الحارث: بلعنبر وبلحارث بحذف النون"[120] وقد وصفه سيبويه بالشاذ[121]. ولا يلتفت لـ(النون) الذي يؤتى به علامة للمضارعة؛ لأنه ليس من أصل البناء، إذ (النون) باعتبار طبيعته وخفته صوت بديل يستأنس به المنطق كثيرا فيختاره علامة في كثير من الحالات ومنها: المضارعة والتوكيد والنسوة ونحو ذلك من العلامات. أمّا وقوع (النون) بعد (اللام) فلم يرفضه المنطق؛ لكنه قد يعرض عنه لذات الأسباب. نقل سيبويه عن الخليل:" فإن قلت: لعلي ليس فيها نون، فإنه زعم أن اللام قريب من النون وهو أقرب الحروف من النون، ألا ترى أن النون قد تُدغَم مع اللام حتى تبدَل مكانها لام، وذلك لقربها منها، فحذفوا هذه النون كما يحذفون ما يكثر استعمالهم إياه"[122]. وكتب ابن جني، "ونحوٌ من ذلك ما يحكى عنهم من قولهم التقت حلقتا البِطَان بإثبات الألف ساكنة في اللفظ قبل اللام وكأن ذلك إنما جاز ههنا لمضارعة اللام النون ألا ترى أن في مقطع اللام غُنّة كالنون وهي أيضاً تقرب من الياء حتى يجعلها بعضهم في اللفظ ياء فحملت اللام في هذا على النون كما حملت أيضاً عليها في لَعَلِّي ألا تراهم كيف كرهوا النون من لعلَّني مع اللام كما كرهوا النون في إنني"[123]. وكتب أبو حيان في لعلّي ولعلّني: "الكثير لعلي وقل لعلني"[124] وزعم أنها للوقاية[125].

(النون مع الراء)

(النون) صنو (الراء) "لقرب المخرجين على طرف اللسان"[126] "وهي مثلها في الشدة"[127] وعليه هما لا يتجاوران، وقد نصّ على ذلك ابن فارس، فكتب "النون والراء لا يأتلفان إلا بدخيل"[128]. وعن ابن دريد أن الأصمعي قال: "ليس في كلامهم نون بعدها راء بغير حاجز"[129] وكتب في موضع آخر: "ليس في كلامهم راء قبلها نون"[130]

---

[119] ابن جني، سر صناعة الإعراب. 2/ 189.
[120] سيبويه. 4 / 484.
[121] نفسه.
[122] سيبويه. 2 / 369
[123] ابن جني، الخصائص. 1 / 93 – 94.
[124] أبو حيان، ارتشاف الصرب. 2 / 923.
[125] نفسه.
[126] سيبويه. 4 / 452.
[127] نفسه.
[128] ابن فارس، مجمل اللغة. 1 / 863.
[129] ابن دريد، جمهرة اللغة. 1 / 127.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

وكتب الزبيدي في تاج العروس: "ليس في الكلام نونٌ فراءٌ بلا فاصل"[131]. أمّا "نرجس" فـ"قُضِيَ بأنّ النّون زائدة"[132] كتب الأزدي: "فأمّا نرجس فأعجمي مُعرب"[133] وكتب في موضع آخر: "وَلا تلْتَفت إلى نَرْجس فَإِنَّه فارسيّ معرَّب"[134]. وعند سيبويه أنّ سبيل التخلص من هذه الحالة هو الإدغام كتب: "النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة"[135] وتمثل بـ "قولك: من راشدٍ ومن رأيت"[136] وإنّما المنطق فيهما "مرَّاشد ومرَّأيت"[137] أمّا عندنا فعلى خفاء النون حيث تطرح النون طلبا للخفة وتعوض عنه بتشديد الراء؛ لأنّ (النون) صنو (الراء) في المخرج وفي تجاورهما كراهة واستثقال. وفيه كتب ابن جني: "فأمّا قراءة عاصم (وقيل من راقٍ) ببيان النون مِن (مَنْ) فمعيب في الإعراب معيف في الأسماع وذلك أن النون الساكنة لا توقّف في وجوب ادّغامها في الراء نحو من رأيت ومن رآك فإن كان ارتكب ذلك ووقف على النون صحيحة غير مدّغمة لُيَنبَّه به على انفصال المبتدأ من خبره فغير مرضيّ أيضا ألا ترى إلى قول عَدِيّ:

مَن رَّأيت المنون عَرّين أم من ذا عليه من أن يُضام خَفير

بإدغام نون "من" في راء "رأيت" ويكفى من هذا إجماع الجماعة على ادّغام (من راَّقٍ) وغيره مما تلك سبيله وعاصم في هذا مناقض لمن قرأ (فإذا هِيَتّلَقّف) بإدغام تاء تلقف وهذا عندي يدل على شدة اتصال المبتدأ بخبره حتى صارا معا ههنا كالجزء الواحد فجرى هِيَتّ في اللفظ مجرى خِدَبّ وهِجَفّ ولولا أن الأمر كذلك للزمك أن تقدّر الابتداء بالساكن أعنى تاء المضارعة من تتلقف فاعرف ذلك"[138].

ومن المتقارب المستثقل تركبه، أصوات (السين والصاد والزاي) وقد نعتها سيبويه بـ"أصوات الصفير"[139] ونعتها صاحب العين بأنها أسلية كتب: "الصاد والسين والزاء أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرف اللّسان"[140] وبذلك قال

---

[130] نفسه. 2 / 735.
[131] الزبيدي، تاج العروس. 16 / 547.
[132] نفسه.
[133] ابن دريد، جمهرة اللغة. 1 / 127.
[134] نفسه. 2 / 735.
[135] نفسه. 4 / 452.
[136] نفسه
[137] نفسه. 4 / 448 و 452.
[138] ابن جني، الخصائص. 1 / 94 – 95.
[139] سيبويه. 4 / 464.
[140] العين. 1 / 58.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

صاحب المفصل[141] ونعت سيبويه لها نسبة إلى جرسها، والآخر نسبة إلى مخرجها. فهذه أصوات من حيِّز واحد؛ إذ تخرج ما بين رأس اللسان والثنايا من غير اتصال؛ غير أنّ (الصاد) أدخل ثم (السين) ثم (الزاي) وهو أقرب الجميع إلى الأسنان.

وليس في منطق العرب (سين) فـ(صاد) أو (سين) فـ(زاي) ولا (صاد) فـ(زاي) ولا (صاد) فـ(سين) ولا (زاي) فـ(سين) ولا (زاي) فـ(صاد) وعليه جاء في التهذيب أنّ "باب السِّين وَالزَّاي: مهمل"[142]. ومردّ ذلك أنّ هذه الأصوات هي بطبيعة صوتية واحدة "صفير" وتجمع فيما بينها ثقلين: ثقل المجاورة، وثقل المضارعة؛ حتى أنّ المنطق يبدل فيما بينها سعة واختيارا. كتب سيبويه: "السين كالصاد في الهمس والصفير والرخاوة، فإنما يخرج الصوت إلى مثله في كل شيء إلا الإطباق"[143]. ومن ذلك قولهم "مصدر" فقد يلجأ المنطق للزاي يشربه صادًا فتنطق زايًا، أو كأنّها. وقد علل له سيبويه بقوله: "وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسروا على إبدال الذال صادا، لأنّها ليست بزيادة كالتاء في افْتَعَلَ"[144] وأردف "والبيان عربيٌّ". ومنه "قولهم: صويقٌ ومصاليق، فأبدلوا السين صاداً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في: صقت"[145] ومنه ـ أيضا ـ "قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه: يزدل ثوبه" لأنّها من موضع الزاي وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق. والبيان فيها أحسن؛ لأن المضارعة في الصاد أكثر وأعرف منها في السين والبيان فيهما أكثر أيضاً"[146]. ومن ذلك أيضا قولهم: "صقت، وصبقت" في "سقت وسبقت" "وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى[147]. وكذلك نحو: "صالغ في سالغ، وصلخ في سلخ... وقالوا صاطعٌ في ساطع، لأنها في التصعد مثل القاف، وهي أولى بذا من القاف، لقرب المخرجين والإطباق"[148]. أمّا في استثقال تواليها فقد كتب سيبويه: "قصة الصاد مع الزاي والسين، كقصة الطاء والدال والتاء"[149] يعني في استثقال التألّف.

[141] الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب: 548.
[142] ابن دريد، جمهرة اللغة. 12 / 229.
[143] سيبويه. 4 / 481.
[144] نفسه. 4 / 478.
[145] نفسه.
[146] نفسه. 4 / 478 - 479.
[147] سيبويه. 4 / 479.
[148] نفسه. 4 / 480.
[149] نفسه. 4 / 461.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

وقد ذكر فيه ابن جني أنه "ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: سص وطس"[150] وهو نظير "ظث وثظ وضش وشض"[151] في النفور والكلفة وقد علل له ابن جني بقوله: "النفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه"[152]. ومما يعد من حالات استثقال المتقارب استثقال الأحياز مع أول الأحياز المجاورة وظاهرته في مجاورة اللام وهو أول حيز طرف اللسان (اللام) مع الأحياز المجاورة. وهو ما يقولون عنه "اللام الشمسية واللام القمرية" إنّما الحقيقة ليستا للشمس ولا للقمر؛ بل هي للأسرار اللغة، ومرد الأمر استثقال تقارب أصوات الأحياز؛ فحين تسبق اللام الساكنة هذه الأصوات يجتمع في الموضع ثقلان: السكون، وتجاور الأحياز فيشق على المنطق الانتقال من السكون إلى الجوار. وهذه الأحياز هي حيز اللسان بين الأسنان (الذال والثاء والظاء) وحيز النطع (التاء والدال والطاء) وحيز الصفير (الزاي والسين والصاد) وحيز الذلق "الراء والنون" وحيز التفشي (الشين والجيم) وهو مع الجيم على الاختيار وحيز (الضاد) وهو وحده. فهذ أحياز أصوات تستثقل قبلها اللام ساكنة لعلة السكون والجوار؛ غير أنّ اللام هي المنزوعة في المنطق دون هذه الأصوات؛ لعلة السكون إذ المتحرك أولى بالبقاء؛ كما أن صوت أول اللفظ من أصل اللفظ والمساس به مساس بمعنى اللفظ وهو ما لا تقبله اللغة بتة واللام ليست من أصل اللفظ إنما هي علامة قد يعوض عنها بعلامة أخرى "التشديد" كناية عنها. وعليه فقد نفترض أن علامة التعريف في هذه الألفاظ ليست اللام بل التشديد. فأمّا "التاء والدال والطاء" فيستثقل قبلها اللام لعلة تقرب الأحياز وعليه يخفى في النطق (ولا غرو فالخفاء سمة نظيره النون عن مجاورة الأقرباء) ويعوض عنه بتشديد ما بعده منها فينطق اللفظ "التّمر والدّين والطّهر". والحكم نفسه في الأصوات اللثوية "الظاء والثاء والذال" فينطقها المنطق "الظّهر والثّوم والذّنب" على خفاء اللام وتشديد التالي. والحكم نفسه مع أصوات الصفير "السين والصاد والزاي" نحو"السّد، والصّد، والزّاد" أو "السقر والصقر والزقر" على اختلاف منطق اللغات. والحكم نفسه مع نظيريه الأصوات الذلقية "الراء والنون". وهو مع هذه أشد خفاء من غيرها لمشاركته الحيز الصوتي إذ ثلاثته من حيز واحد، فتخفى اللام ويشدد كل منهما فيكون النطق:" الرّب والريب والنّوم والنّميمة". والحكم نفسه مع الضاد وعند سيبويه هو "أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف"[153] ومثّل لذلك بقول بعض العرب: "الطجع في اضطجع أبدل اللام مكان الضاد"[154].

[150] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[151] نفسه.
[152] نفسه.
[153] سيبويه. 4 / 483.
[154] نفسه.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

غير أن هذا يناقض قوله أن الراء هي:" أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، إذ كانت اللام ليس حرفٌ أشبه بها منها ولا أقرب"[155]. وعندنا أن قوله هذا أقرب إلى الصواب إذ اللام والراء صنوان في الحيز؛ أما الضاد فحيز وحده. لذا كان الشريك في الحيز أقرب من الذي في الحيز المجاور. وقد نلحظ أن الراء والضاد يأتلفان في المنطق على الخلاف نحو: "رضا ورضوان وضر وضرار" ولا يأتلف اللام مع الضاد إلا على تقديم الضاد نحو "ضل" وليس في منطقهم "لض". مع أن اللام والراء من حيز واحد ومرد ذلك أن اللام أقرب من الراء إلى الضاد قبل المنطق الراء قبل الضاد ولم يقبل اللام وهذا القرب هو الذي أتاح الإبدال بينهما فقال بعضهم:"الطجع في اضطجع أبدل اللام مكان الضاد"[156]. وعليه استثقل المنطق تقدم اللام قبل الضاد فأخفى اللام وعوض عنه بتشديد الضاد كما في "الضّبع والضّياء" ونحوه. وعليه كانت علة خفاء اللام قبل هذا الأصوات خاصة، وإظهارها مع غيرها من بقية الأصوات "الباء والجيم والحاء والخاء، العين الغين الفاء القاف الكاف الميم الهاء الواو والياء والهمزة".

ثانياً: النوع الأخر

وهو ما يقبل التألّف بشرط أن يقدم فيه الأقوى على الأضعف والخارج عن الداخل وقد يعرض عنه المنطق فينزع الأول ويعوض عنه بالتشديد استثقالا للمتقارب. وهذا النوع الأصوات قد يقبل الانتقال في الحيز الصوتي الواحد من صوت إلى آخر هو أقرب منه إلى الداخل، ومن صوت إلى آخر هو أضعف منه جرسا. ومرد ذلك سببان:

الأول: أنّ المنطق لا يقدم الصوت الأقرب إلى الداخل على الأقرب إلى الخارج؛ لأنّ ذلك ضربٌ من النكوص والتقهقر.

والآخر: أنّ الصوت المبتدأ إنّما هو عماد المنطق، وعليه يتكئ ما يقع بعده، والأضعف لا يصلح عمادا، وتلك طبيعة منطق اللغة وسمته.

وأمّا تقديم الأقرب إلى الخارج على الأقرب إلى الداخل، فمن صوره مثلا (الدال) و(التاء) إذ هما من حيّزٍ واحد؛ إلا أنّ (الدال) إلى الداخل أقرب، ولم يسمع من ألفاظ العرب أن قدم (الدال) على (التاء) وعليه ليس في منطقهم "دت" لكن قد يقدم (التاء) نحو: "وتد" ومع هذا قد يُستثقل فيُعرض عنه إلى "ودّ" حكى ذلك سيبويه في كتابه[157] كل ذلك كراهةً لتوالي التقارب.

[155] نفسه. 4 / 457.
[156] نفسه. 4 / 483.
[157] سيبويه. 4 / 482.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

وأمّا تقديم الأقوى على الأضعف فمن صوره (الهمزة) و(الهاء) فـ(الهاء) في حياكة أصوات اللفظ لا تسبق (الهمزة)؛ لأنّ الهمزة أثقل؛ والمنطق ينفر من الانتقال إلى الأثقل، وعليه ليس من منطق العرب "هأ" إذ يرفض المنطق النكوص من خفيف إلى ما هو أثقل منه، ولم يسمع من ألفاظ العرب أن قُدّم (الهاء) على (الهمزة) لما في ذلك من نقض لنحيزة منطق العرب في التدرّج. وبالمقابل سمح المنطق أن تسبق الهمزةُ الهاء؛ لأنّ (الهمزة) أندى وأقوى وأثقل نحو: "أهل، وأهلون، وأهالي" إذ هو منسجم مع طبيعة العربية في التدرج. ولأنّ الصوتين صنوان في الصدى والمخرج، وهو ما يقرب أحدهما من الآخر أكثر فقد ينأى المنطق على هذه الحالة أيضا؛ لاسيما وهي ساكنة، ويعوض عنها بمد في حركة ما قبلها على البديل المخفف نحو: "أهل" تصبح "آل" كل أولئك استثقالا لتوالي المتقارب في المخرج. وتقديم الأقوى ليس قصرا على القرب في المخرج؛ بل قد يكون في غيره؛ كـ "أحد وأخذ وشأن وشهد وعهد" غير أنّه في المخرج القريب أكثر وأظهر. كتب ابن جني: "إن جمع بين اثنين منها قدّم الأقوى على الأضعف نحو: أهلٍ وأحدٍ وأخٍ وعهدٍ وعهْرٍ"[158] فـ "متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقْوى منهما نحو أرُلٍ ووتِد ووطد"[159]. وعلل لذلك بقوله: "وأنا أرى أنهم إنما يقدّمون الأقوى من المتقاربين من قِبَل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدّموا أقواهما لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبدا أسبق وأعلى والآخر أنهم إنما يقدّمون الأثقل ويؤخّرون الأخفّ من قِبَل أن المتكلم في أوّل نطقة أقوى نَفْسا وأظهر نشاطاً فقدّم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدّمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخّره فإنّ هذا أحد ما يحتجّ به في المبتدأ والفاعل[160].

ومن هذا النوع أيضا (الدال مع الثاء) فقد يسبق الدالُ الثاء، ومنه "الدثّ" وهو المطر الضعيف، والرّمي المتقارِب من وراء الثّياب، والضرْب المؤلم، والرمْيُ بالحجارة، والالتواء في الجسد[161] وكذلك "دثّر" ويسوغ منه تسكين (الثاء) أمّا (ثاء فدال) فليس من كلام العرب؛ لأنّ (الدال) أدخل وأقوى، وليس من طبيعة منطق العربية الانتقال من الخفيف إلى ما هو أثقل. ومنه أيضا (الدال والضاد) فقد حكي عنهم "ضد"لكن لم يحكِ أحد عنهم "دض". ومنه أيضا (الدال والصاد) "لأن

[158] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[159] نفسه.
[160] نفسه. 1 / 56.
[161] الهروي، تهذيب اللغة. 14 /43.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

الصاد قريبةٌ من الدال"[162] فالمساغ منه تقديم (الصاد) ومنه "صدَّ وصدق" ونحوه؛ ولا غرو أن يجيز المنطق (الصاد) أولا لأنّه أقوى ولا يقبل ذلك في (التاء) لأنه أضعف، ولأنه تقهقر ونكوص، وقد نصّ ابن جني أنه "متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما"[163].

وفي (تاج العروس) أنّ "دَصَّ خَدَمَ سائِساً"[164] وفي (التهذيب): "أن "صد، دص: مستعملان"[165]. غير أن هذه المعجمات لم تورد شاهدا لغويا منه غير "دَصَّ" وعندنا أن هذا الشاهد فردٌ ليس له نظير. ومن صور هذا النوع أيضا تألف (الباء والفاء) إذ هما متقاربان في المخرج فحيزهما الفم ويشاركهما في ذلك الميم، وقد وصفها صاحب العين أنّها شفهية "لأن مبدأها من الشَفَة" [166]. أمّا (الميم) فقد نُقل عن الخليل أنه كان يسميها مُطْبقة؛ لأنّها تطبِق الفم إذا نُطق بها[167]. وعليه ليس في كلام العرب كلمة أولها فاء وثانيها باء إلا حرف واحد أورده الزبيدي هو "فُبّ" بالضَّم ثمَّ التَّشديد: موْضِع بالكُوفَة، وهم بطن من همْدان"[168]. ومردّه أن (الفاء) أخفّ من (الباء) وأضعف، والانتقال من الخفيف إلى الثقيل مركب عسير. وكذلك هو تركب (الفاء) قبل (الباء) قد يستثقله المنطق لعلّة التقارب، ومن شواهد استثقال هذه الحالة قولك: "اذهب في ذلك"[169] إنّما منطقها "إذ هفّي" ومذهب سيبويه فيه على قلب الباء فاء[170] ومذهبنا فيه على خفاء الأوّل والتعويض عنه بتشديد الأخير.

وعليه نأى منطق العربية عن صوغ اللفظ من الأصوات المتقاربة في المخرج لما في ذلك من جهد وكلفة فـ"إذا اختلفت أحوال الحروف حسن التأليف"[171]. ومن هذا النوع ـ أيضا ـ استثقال الانتقال من الرقة إلى الفخامة، حيث يستثقل المنطق الانتقال من صوت رقيق إلى ما هو أشد منه فخامة، إذ هو انتقال من الخفيف إلى الأثقل وهو مستثقل. ومن أمثلته استثقال الانتقال من المستعلي المفخم إلى المهموس المرقق؛ وذلك لأنّ اللسان في (الصاد) يصعد معه إلى الحنك الأعلى فيجد في

---

[162] سيبويه. 4 / 117.
[163] ابن جني، الخصائص. 1 / 55.
[164] الزبيدي، تاج العروس. 17 / 580.
[165] الهروي، تهذيب اللغة: 12 ، 73.
[166] العين. 1 / 58.
[167] نفسه.
[168] الزبيدي. تاج العرس. 3 / 503، باب "فرب".
[169] سيبويه. 4 / 448.
[170] نفسه.
[171] ابن جني، الخصائص. 1 / 58.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

نكوصه إلى مخرج (التاء) ثُقلة، فيجنح إلى (الطاء) صنوه المفخم، كي يكون أخف منطقا، وألطف حكاية، وأقمن بالأصوات أن تتآلف. وقد مثل لذلك ابن جني فكتب: " إذا قلت في اصتبر: اصطبر فأنت قد قرّبت التاء من الصاد بأن قلبتها إلى أختها في الإطباق والاستعلاء والطاء مع ذلك من جملة مخرج التاء"[172]. ومثّل له في موضع آخر بـ "ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء، وذلك نحو: اصطبر واضطرب واطّرد واظطلم، فهذا تقريب من غير ادّغام"[173]. ونظير ذلك قولهم: ازدان وادعى وادّكر، فأصل "مُذَّكِر" وفق ما نص عليه سيبويه "مذتكر" كتب: "وإنما حدها مُذْتَكِرٌ، ولكنهم أدغموا"[174]. وكتب ابن جني: "ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه لها دالا كقولهم: ازدان وادّعى (وادّكر واذدكر)"[175]. وقوله (ادّكر واذدكر)على حكاية أبي عمر والقياس عندنا "اذتكر" كما أثبته ابن عقيل، كتب: "اصطبر واضطجع وادّكر" فإنّ أصولها المستثقلة "اصتبر واضتجع واذتكر"[176]. وعلّل له باستثقال (التاء) بعد هذه الأصوات كتب: "استثقلت التاء بعد هذه الأحرف"[177]. وكتب ابن جني: "أمّا ادّعى فحديثه حديث اطّرد لا غير في أنه لم تقلب قصدا للإدغام لكن قلبت تاء ادّعى دالا كقلبها في ازدان ثم وافقت فاؤه الدال المبدلة من التاء فلم يكن من الادّغام بدّ"[178]. وأمّا "اذدكر فمنزلة بين ازدان وادّعى ، وذلك أنّه لما قلب التاء دالا لوقوع الذال قبلها صار إلى اذدكر فقد كان هذا وجها يقال مثله مع أنّ أبا عمرو قد أثبته وذكره غير أنه أجريت الذال لقربها من الدال بالجهر مُجْرى الدال فأوثر الادّغام لتضام الحرفين في الجهر فأدغم ، فهذه منزلة بين منزلتي ازدان وادّعى، وأمّا اذَّكر فكاسمَّع واصَّبر"[179].

ومما يحمل على ذلك "أن تقع السين قبل الحرف المستعلِي فتقرَّب منه بقلبها صادا على ما هو مبين في موضعه من باب الادّغام، وذلك كقولهم في سُقْت: صُقْت وفي السّوق: الصُوق وفي سبقت: صبقت وفي سَمْلَق وسَويق: صمْلَق وصَويق وفي سالغ وساخط: صالخ وصاخط وفي سقر صقر وفي مساليخ: مصاليخ" قاله ابن جني في الخصائص[180].

---

[172] نفسه. 2 / 231.
[173] ابن جني، الخصائص. 2 / 143.
[174] سيبويه. 3 / 427.
[175] ابن جني، الخصائص. 2 / 144.
[176] ابن عقيل، شرح ابن عقيل. 2 / 257.
[177] نفسه.
[178] ابن جني، الخصائص. 2 / 144.
[179] نفسه.
[180] نفسه. 2 / 144 - 145.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

ثالثاً: النوع الثالث، وهو مما لا يرفضه المنطق؛ غير أنه قد ينأى عنه اختياراً

حالة الخيار هذه إنما تتجسّد في "تاء الافتعال" الداخلة على الصيغتين: "تفعّل وتفاعّل" ليصبحا (تتفعل وتتفاعل) فيتوالى التاء نفسه فيطرح سعة وخيارا. وفيه كتب سيبويه: "فإن التقت التاءان في تتكلمون وتترسون، فأنت بالخيار، إن شئت أثبتهما، وإن شئت حذفت إحداهما: وتصديق ما تمثل به سيبويه[181] من قوله عز وجل: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (فصلت: 30) و﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة: 16) وكتب: "وإن شئت حذفت التاء الثانية. وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى: "تنزل الملائكة والروح فيها" وقوله: "ولقد كنتم تمنون الموت" وكانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكن وتدغم"[182]. وعلى الوتيرة كان المنطق بالخيار مع بعض الأحياز فيطرح هذه التاء، ويعوض عنه بتشديد ما بعده؛ انسجاما مع بنية الفعل؛ وهذه الأحياز هي كالآتي: **حيز طرف اللسان وأصول الثنايا العليا** وأصواته (الطاء والدال) وكذاك (التاء) نفسه. ومن شواهده مستثقلا مع (الدال) قوله تعالى "فادّارءتم فيها" يريد: فتدارأتُم"[183]. ومن شواهده مستثقلا مع (الطاء) قوله تعالى: "يطيروا بموسى" و"اطّهروا" و"اطّيّرنا بك" إنّما الأصل:" يتطيروا" و"اتْطهروا" و"اتْطيّرنا"[184]. **حيز طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا**، وأصواته هي (الذال والثاء والظاء). ومن شواهد استثقاله مع (الذال) قوله تعالى: "لعلهم يذكّرون" والأصل "يتذكرون"[185]. ومن شواهد استثقاله مع (الثاء) قوله تعالى: "اثاقلتم" والأصل "تثاقلتم"[186]. ومن شواهد استثقاله مع (الظاء) قوله تعالى: "يظّهرون" والأصل "يتظهرون"[187]. **حيز الصفير** وأصواته هي (الصاد والسين والزاي). فأمّا مع (الصاد) فلا تكاد تجد منه "صت" غير "الصَّتُّ: شِبْهُ الصَّدْمِ والقَهْر"[188] أمّا "تص" فهو ليس من منطقهم، ومن شواهد هذه الحالة قوله تعالى: "وأن يصّلحا" والأصل "يتصالحا"[189]. ومن شواهده أيضا قول سيبويه: "سمعناهم ينشدون هذا البيت، لابن مقبل[190]:

---

[181] سيبويه. 4 / 476.
[182] نفسه. 4 / 476.
[183] سيبويه. 4 / 475، وأبو حيان، ارتشاف الضرب. 1 / 349.
[184] نفسهما.
[185] نفسهما.
[186] أبو حيان، ارتشاف الضرب. 1 / 349.
[187] نفسه.
[188] الهروي ، تهذيب اللغة. 12 /75.
[189] أبو حيان، ارتشاف الضرب. 1 / 349.
[190] سيبويه. 4 / 463.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

فكأنّما اغْتَبَقصبَّيرَ غَمامةٍ بِعَراً تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ زُلالاَ

وأمّا شاهد استثقاله مع (السين) قراءة الجمهور[191] ﴿لا يسمّعون﴾ (الصافات: 8) وقرأ حمزة، وَالكسائي، وحفص ﴿لا يَتَسَمّعُون﴾ وعند سيبويه أن "البيان عربيٌّ حسنٌ لاختلاف المخرجين"[192]. أمّا تقدم (السين) فجاءت منه ألفاظ معدودة هي "ستر" و"ست" و"ستل" بمعنى تتابع. وأمّا وهو مع (الزاي) فلم يحكَ عنهم من "زت" غير: "زَتَتْتُ المرأةَ: إذا زَيَّنْتَها. وجاء في (التهذيب) عن شمّر قوله: "لا أَعرِف الزّاي مع التّاء موصولين إلاّ زتَت"[193] وجاء فيه أيضا أن (زت): أهملت وجوهها"[194] ومن شواهد استثقال هذه الحالة "ازيّنت" إنما هي"تزينت"[195]. وكذلك (التاء) بعد (الزاي) فقد يعرض عنه المنطق اختيارا فيبدله دالا طلبا للجزالة.

ومن شواهد ذلك "مزدان" إنما الأصل المستثقل "مزتان" وقد أحاله سيبويه على الإبدال كتب: "الزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مزدانٌ في مزتان"[196] وعلل له بقوله: "لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها وليست مطبقة كما أنها ليست مطبقة"[197].

ومن شواهده أيضا "تزدري" كتب الزجاج: "تزدري أصله تزتري، إلا أم هذه التاء تبدل بعد الزاي دالا؛ لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبدلت منها الدال لجهرها، وكذلك يفتعل من الزينة، تقول: أنت تزدان يا هذا"[198]. **حيز (الجيم والشين)** ومن شواهده "اجمّعوا" والأصل "تجمعوا"[199] و"اشّايعوا" والأصل "تشايعوا"[200]. **حيز (الضاد)** وهو حيز لوحده، ومن شواهد هذه الحالة "اضّاربوا" والأصل "تضاربوا"[201].

---

[191] سيبويه. 4 / 463، وأبو حيان، ارتشاف الضرب. 1 / 349.

[192] سيبويه. 4 / 463.

أقول: "ولعل نزع (التاء) في كل على اعتبار توالي العلامات فالياء علامة وكذلك التاء لأن التاء إنما هي علامة صيغة تفعّل، فاستثقل المنطق علامتين في لفظ واحد".

[193] الهروي، تهذيب اللغة. 13 /111.

[194] نفسه. 13 /128.

[195] سيبويه، 4 / 475، وأبو حيان، ارتشاف الضرب. 1 / 349.

[196] سيبويه. 4 / 467.

[197] نفسه. 4 / 468.

[198] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه. 48/3.

[199] أبو حيان، ارتشاف الضرب. 1 / 349.

[200] نفسه.

[201] نفسه.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

الخاتمة

كان مدار البحث في استثقال توالي الأصوات المتقاربة، ولا عجب أن يكون التقارب بين الأصوات مدعاة إلى الكراهة والاستثقال، فمنطق اللغة كمنطق الحياة، يستحسن التباعد في التألّف والتآلف والانسجام، وهو ما يذهب يؤكد أنّ اللغة صورة حقيقة عن الحياة. وقد خلص البحث إلى أنّ مجمل هذه الأصوات في تآلفها ثلاثة أنواع:

- نوع لا سبيل إلى تآلفه؛ لعلة الاشتراك في الحيز الصوتي الواحد، وما ينتج عن ذلك من شبه إلى حد كبير بينها في الطبيعة الصوتية.
- فهذه الأصوات تخرج من حيز صوتي واحد؛ حتّى إنّ بعضها يأتي بديلا عن الآخر، ومخارج هذا النوع: أقصى الحلق ووسطه وأدناه، ورأس اللسان وطرفه. فكل هذا الأصوات لا سبيل في منطق العرب الفصيح إلى تواليها إلا أن يكون أصلٌ مرفوض أو لفظٌ مُهمل.
- ونوع ثانٍ يقبل التألّف بشرط أن يتقدم فيه الأقوى على الأضعف، والأكثر قربا إلى الخارج على الأقرب إلى الداخل؛ كما في "الهمزة والهاء" فلا تقدم (الهاء) على (الهمزة) لأنّ المنطق ملتزم بتقديم الأقوى على الأضعف، اتباعا لنهجه في التدرج، و(الهمزة) أقوى من (الهاء).
- ونوع ثالث لا ترفضه اللغة؛ غير أنّ المنطق ينأى عنه اختيار وسعة واقتصادا في الأصوات، ويمثل هذه النوع أفعال الافتعال التي تدخل عليها تاء المضارعة فتدخل بذلك التاء العلامة على تاء البناء فالمنطق حينئذ بالخيار بين أن يثبت الاثنين، أو يعض عن واحدة على اعتبار توالي الأمثال؛ لاسيّما والمعنى حاصل فلا التباس ولا مساس.

وعليه خلص البحث إلى نتائج شتى نوجزها في نقاط منها:

ينأى المنطق عن تألف الصوتين المشتركين في الحيّز، المتجاورين في المخرج، المتفقين في الطبيعة فيجنح إلى الإعراض عن الأول والتعويض عنه بالتشديد في الآخر، ومن ذلك (الحاء والهاء) فهما لا يتجاوران في حياكة لفظٍ لأنهما مهموسان رخوان قريبان. وكمثلهما (الخاء والحاء والعين الغين) كلّها أهملت وجوهها؛ كراهةً ونفورا من تألف المتقاربات. وكذلك (القاف والكاف) و(الجيم والشين) فإنّ في تألفها كراهة واستثقال.

وقد خلص البحث في صوت (الجيم) خاصة أنّه صوت مُثقّل بطبيعته يستثقل مع جميع المتجاورات، فيستثقل مع (القاف) ومع (الكاف) مع (العين) ومع (الغين) ومع (الحاء) ومع (الهاء) كما قد يستثقل أيضا مع (السين) ومع (الضاد) ومع (الذال) وقد وجدنا ما يؤيد ذلك عند ابن فارس وعند الجاحظ. كما أنّ له علاقة قربى

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

وشبه مع (الياء) مع أنهما على اختلاف طبيعةً بين الصحة والاعتلال، وهي سمة لـ(الجيم) خاصة دون غير من الأصوات فهما شبيهان في النطق، قريبان في حيز الصدور والإخراج، فكلاهما يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى. وقد وجدنا من قول العلماء ما يعضد من ذلك فقال به سيبويه والمبرد والفارسي وكل مثبت في متن البحث، موثق في ثناياه. بل إن ذلك واقع في منطق الأرجنتينيين وهو إسبانيو المنطق، فهم يبدلون الياء جيمًا ويعده علماء الإسبانية من فصاحة اللسان.

ومن نتائج البحث في السياق ذاته النأي عن توالي الأصوات النطعية وهي (التاء والدال والطاء) إذ ليس من فرق بينها إلا في الجهر والهمس فهي لا تأتلف في أصل اللفظ ولا يعتد بالتاء حين تجيء علامة مضارعة فذلك ليس له اعتبار، وعليه يعقد القياس؛ بل إن البحث وقف على أنماط أعرض فيها المنطق عن (التاء).

ومما خلص إليه البحث استثقال المنطق لـ"التاء" مجاورا لكل من (الطاء والضاد والذال والظاء والصاد) لما بينهما من قرب في المخارج، وكذلك (الدال) مع كل من الطاء) و(الظاء). ومنه أيضا تجاور الأصوات اللثوية (الذال والثاء والظاء) فإنّه محمولٌ على غيره من الاستثقال، ويحمل عليه أيضا تجاور (الضاد والطاء) فهو مستثقل إلى حد امتنع وأهمل. وعلى ذلك تجاور الأصوات الذلقية (اللام والراء والنون) فهو مأبيٌّ مستثقل. ومثلها في الحكم أصوات الصفير (السين والصاد والزاي) فلا تتوالي فيما بينهما لعلة التجاور.

ومما خلص إليه البحث أيضا نوع ثانٍ من الأصوات هو يتألف بشرط أن يقدم فيه الأقوى على الأضعف والخارج عن الداخل وقد يعرض عنه المنطق فينزع الأول ويعوض عنه بالتشديد استثقالا لمبدأ التقارب.

ومما خلص إليه البحث عطفا على السابق استثقال الانتقال من الصوت الرقيق إلى الصوت الفخم إذ هو انتقال من الخفيف إلى الأثقل، وهو مستثقل.

ومما خلص إليه البحث تآلف نوعٍ آخرَ من التآلف لا يرفضه المنطق؛ غير أنه قد ينأى عنه اختيارا وسعة طلبا للخفةً والاقتصاد، وذلك في صيغتي الافتعال "تفعّل وتفاعّل" حين يُدخل عليهما المنطق علامة المضارعة (التاء) فالمنطق ـ حينئذ ـ فيهما بالخيار بين أن يُثبت التاءين على اعتبار أنّ واحدة هي (تاء) اللفظ والأخرى هي علامة المضارعة، أو يكتفي بواحدة نطقا بغض النظر عن أيٍّ هي منهما على اعتبار كراهة توالي الأمثال. هذا هو البحث وقد تم في عرضه؛ فاتحته، ومتنِه، ومنتهاه، وأن الحمد لله الذي بمشيئته تتم الأعمال.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

المصادر والمراجع:

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)
- الصاحبي: تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (بلا ت).
- مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ / 1986م
- أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج.
- معاني القرآن واعرابه، شرح وتحقيق دكتور: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م.
- بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، قدم له ووضع هوامشه، الدكتور إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، 2010. لبنان الطبعة السابعة.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.
- كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة، 2009م.
- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، كمال الدين الأنباري.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ / 1998م.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)
- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]
- المحكم والمحيط الأعظم تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ / 2000م
- أبو الفتح عثمان ابن جني.
- الخصائص، تحقيق: محمد النجار، الهيئة المصرية للكتاب، طبعة خامسة، القاهرة، 2010.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد إسماعيل، وأحمد عامر, دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1428هـ / 2007.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفى: 538هـ)
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01

- المفصل في صنعة الإعراب تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، طبعة أولى، 1993.
- أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق. (بلا ت).
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)
- كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (بلا ت).
- أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي. المسائل العضديات، عالم الكتب، تحقيق: الدكتور علي جابر المنصوري، بيروت الطبعة الأولى. 1406هـ / 1986م.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ - 1987م
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)
- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)
- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (بلا ت)
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.
- لسان العرب. دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (د ت).
- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
- ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الأولى، 1418 هـ/ 1998.
- تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ / 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.

تاريخ الاستلام: 2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/06/01